Journal of Languages & Translation
P-ISSN: 2716-9359 E-ISSN: 2773-3505
Volume 05 Issue 01 January 2025 pp.482-489

الأسلوبية واللسانيات بين تواشج التنظيروتباين التحليل

Stylistics and linguistics between the intermingling of theorizing and the contrast of analysis

طاطة بن قرماز[1]
جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر
t.benguermaz@univ-chlef.dz
https://orcid.org/0009-0003-2781-7459

Received *24/07/2024* ***Accepted*** *03/10/2024* ***Published*** *01/01/2025*

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح الفارق الوظيفي في التحليل بين اللسانيات وعلم الأسلوبية على اعتبار أن هذه الأخيرة تفرعت من علم اللسانيات ، لذلك سنحاول عرض أهمّ التعالقات الوظيفية الرفيعة بين العلمين وإثبات جهود كلّ من الناقد الأسلوبي Michael riffaterre والأكاديمي الأسلوبي الفرنسي :Georges mouliné التي سعت إلى كشف أسباب الخلط الظاهر بين التحليلين: الأسلوبي واللساني وذلك بفهم طبيعية تبعية الأسلوبية للسانيات أولا، ومن ثم شرح مبادرة رائد الأسلوبية السياقية Michael riffaterre في أسبقية فضله بتصحيح هذا الخلط بعلمية وموضوعية ،كون الساحة النقدية العربية اكتستها ضبابة واضحة حالت دون التميز من وظيفة الأسلوبي ووظيفة اللسانيّ.

الكلمات الدالة: الجمالية - معايير التحليل - اللسانيات - الأدبية - الأسلوبية.

Abstract

This study aims to clarify the functional difference in the analysis between linguistics and stylistics, considering that the latter branched off from linguistics, so we will try to present the most important high functional relationships between the two sciences and prove the efforts of both the stylistic critic Michael Riffaterre and the French stylistic theorist: Georges Mouliné, which sought to uncover the reasons for the apparent confusion between the two analyses: stylistics and linguistics, by understanding the nature of the dependence of stylistics on linguistics first, and then explaining the initiative of Michael Riffaterre, the pioneer of contextual stylistics, in his precedence in correcting this confusion scientifically and objectively, since the Arab critical arena was covered by a clear fog that prevented the distinction between the function of the stylistics and the function of the linguistics.

Keywords; aesthetic - analysis criteria - linguistics - literary - Stylistics

---

[1] المؤلف المراسل: طاطة بن قرماز t.benguermaz@univ-chlef.dz

Journal of Languages & Translation © 2025. Published by University of Chlef, Algeria.
This is an open access article under the CC BY license http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

مقدمة

إنّ البتّ في حقيقة علاقة الأسلوبيّة باللسانيات بين التناجز والاختلاف لا يزال يكتنفه الغموض، مع أن جلّ الجهود التنظيريّة تجمع على الإقرار بمرجعية الأسلوبيّة إلى علم اللّسانيات، في بداية تأسيس وجودها وإرساء قواعد كيانها، حيث توطدّت أواصر العلاقة بينهما فأفضت إلى أن " ..من حقائق المعرفة أن الأسلوبية ترتبط باللسانيات ارتباط الناشئ بعلة نشوئه ، فلقد تفاعل علم اللسان مع مناهج النقد الأدبي الحديث حتى أخصبه فأرسى معه قواعد علم الأسلوب ..." (المسدي، 2006، صفحة 8)، نمت الأسلوبية و تنامت داخل الحقل العام للسانيات وقويت بدعائمه، غير أن كل علم منهما تفرّد بخصائصه معينة ،مما فتح باب الغموض مشرّعا في الفرضيات والبراهين، فاتحدت المادة المتمثلة في اللغة وافترقت المناهج وتنوعت النتائج بين العلمين : الأسلوبية واللسانيات (المسدي، 2006، صفحة 8).

لا شك في أن الأسلوبية استثمرت من اللسانيات علميتها وطرائقها الوصفية للظاهرة الأدبية، لكن ليست بتلك العلمية الصارمة التي تنهجها اللسانيات ، فهي تحاول أن تقف الندّ للندّ لها وكذا للعلوم الأخراة ، بعد أن "... شهدت تحولا جذريا مع انتشار الدراسات اللسانية وما تبع ذلك من هيمنة المنهجيات البنيوية في ميادين العلوم الإنسانية .. شهدت الدراسة الأسلوبية تطورا شاملا في النوع والشكل والكمية، وقد أخذ هذا التطور منحنيين اثنين: منحى القاعدة العلمية الصلبة "المنهجية البنيوية" ومنحى الاستقلال في إطار علم متكامل يتعامل مع العلوم الأخرى معاملة الندّ للندّ علم الأسلوبية" (مولينيه، 1999، صفحة 7)، مرت الأسلوبية في فترة من الزمن بأزمة التبعية للنقد الأدبي إلاّ أن الدراسات الغربية الحديثة ترى بأن استقلالية الأسلوبية جاء مصاحبا لفورة اللسانيات (مولينيه، 1999، صفحة 8)، وقد اتكأت الأسلوبية في تحديد مسارها التحاقلي اللساني على طبيعة العلاقة الكائنة بين الثنائيات السوسيرية التكاملية: ظاهرة اللغة و ظاهرة العبارة langue-parole ، ومحوري: الاستبدال والتوزيع من خلال استثمار الأسلوبية إجراءات التحليل اللساني، فارتبطت الأسلوبية بالمناهج اللسانية ، ومع ذلك لا يمكننا تجاهل التعقيد والغموض السائد في دراسة المسائل الأسلوبية ، الذي نعته فيلي ساندريسwilly sandres (ساندرس، 2003، صفحة 67) بالتيه المنهجي في البحث الأسلوبي ، وهذا التيه ناجم من الخلط السائد بين الأسلوبية واللسانيات إذ سنحاول توضيحه خلال دراستنا لهذا الموضوع.

توغّل عبد السلام المسدي في خوض نرجعية الأسلوبية اللسانية، فكان رأيه موضوعيا بقوله: " ولعل أهمّ مبدأ يستند إليه في تحديد حقل الأسلوبية يرتكز أساسا على ثنائية تكاملية هي من مواضعات التفكير اللساني ، أحكم استغلالها علميا دوسوسير ، تتمثل في تفكيك مفهوم الظاهرة اللسانية إلى واقعين أو لنقل إلى ظاهرتين وجوديتين ظاهرة اللغة وظاهرة العبارة langue-parole" (المسدي، 2006، الصفحات 34-35)، مما لا يدعو إلى التشكيك فيه هو أنّ حقل الأسلوبية ارتبط بمواضعات التفكير اللساني، برز هذا الحقل وانتشر من خلال ما قدّمه دو سوسير في ميدان اللغة والكلام حين قال : "وفصلنا اللغة عن الكلام فإنما نفصل في وقت واحد الاجتماعي عن الفردي، الجوهري عن الثانوي والعرضي" ، كما حدّد سوسير الوظائف المنوطة بكلّ من اللّغة والكلام بقوله: "اللغة ليست وظيفة للفرد الناطق وإنما هي نتاج يكتسبه الفرد نتاجيا وهي لا تفترض تصميما مسبقا أبدا و التفكير لا يتدخل فيها إلا لنشاط تصنيفي... أما الكلام فهو على عكس ذلك عمل فردي للإرادة و العقل" (دوسرسير، 1986، صفحة 25)، تعدّ اللغة من منظور سوسير ظاهرة اجتماعية ، باعتبار كينونتها الحيّة المتنامية المتغيّرة ، المقرونة بتنامي المجتمع وتطوره ، أما الكلام فهو ظاهرة فردية مجسّدة للغة تجسيدا فعليا، يجسّد الكلام بآلة اللغة ، فتضحي اللغة أشمل من الكلام ،إذ يندرج الكلام في حياض اللغة، ولا تندرج اللغة في حياض الكلام (عياشي، 2009، صفحة 21)، لأن اللغة تختلف باختلاف المجتمعات وتقاليدها وأعرافها ومعتقداتها، تتجاذب اللغة والكلام أداءات وظيفية شخّصها عبد الملك مرتاض في تداعيات متجاذبة بقوله: "فالأصوات أساس اللغة، واللغة أساس الكلام، والكلام أساس الأسلوب، والأسلوب هو المظهر الخارجي الذي يجعل الكتابة كتابة أدبية .." (مرتاض، صفحة 34)، يمكن القول بالاجتهاد في الرأي وتبعا لاطلاعنا على هذا الموضوع ووفاقا لما

سبق تناوله: إنّ اللغة مشتركة وهي بذلك ظاهرة اجتماعية جماعية، أما الكلام باعتباره ظاهرة فردية مخصوصة على الفرد يتعاطه وحده ، فيغدو الكلام هو الأسلوب نفسه كونه يشكّل المجال الحيوي الوظيفي للدراسة الأسلوبيّة التي تتكفل بإبراز جوانب الفنّ والجمال باقتفائها أثر النسوج التركيبة اللغوية المُترجمة للمعاني والدلالات، والتي تفتح باب التأويل مشرّعا للتكهن وتقصّي حدود الجمال و كمون الأدبيّة في العمل الأدبي .

تكاد تكون العلاقة بين اللّغة والكلام هي نفسها العلاقة بين اللغة والأسلوب ، فقد لاحظنا إدراك الناقد الأسلوبي رائد الأسلوبية السياقية Michael riffaterre - لعلاقة التلازم بينهما بقوله:

"le langage exprime et que le style met en valeur. (riffaterre, 1971, p. 57)" ،تندرج وظيفة اللغة إذن في التعبير بيد أن وظيفة الأسلوب تختص بالإبراز أي إبراز قيمة هذا التعبير، فيعمل الأسلوب على إظهار مزايا اللغة بلملمة ملفوظاتها المبعثرة نسجا وتحبيرا، "فالأسلوب هو مظهر من مظاهر الفنّ هو طريقة وضع اللغة في حال من الوظيفة غامرة بالعنفوان والحيوية والنشاط والعطاء ..." (مرتاض، صفحة 94)، حيث يقوم الأسلوب بإبراز ملامح اللغة التي لا يمكنها تشخيص انبصامها الجمالي إلاّ بالأسلوب القمين بهذا الدور الوظيفي الجمالي.

يتضح مما سلف تداوله بأن هناك علاقة تلازمية ، تحاقلية بين اللغة والأسلوب باعتبار اللغة قاسما مشتركا بين اللسانيات والأسلوبية من جهة، وبأن الكلام ظاهرة فردية فعلية مجسّدة للغة، ومن ثم تظهر عملية التناجز الوظيفي بين الكلام والأسلوبية ، لذلك "... حدّد بالي حقل الأسلوبية بظواهر تعبير الكلام وفعل ظواهر الكلام على الحساسية ... فمعدن الأسلوبية بحسب بالي ما يقوم في اللغة من وسائل تعبيرية تبرز المفارقات العاطفية والإرادية والجمالية .." (المسدي، 2006، صفحة 37)، تختص الأسلوبية بدراسة الخصائص اللغوية ذات الانبصام الجمالي ، فترصد عملية انتقال الكلام من سياق الإفهام و الإخبار إلى سياق الإثارة و الإمتاع والتأثير .

وقف عبد السلام المسدي عند تحديد الصلة بين الأسلوبية واللسانيات مقرّا بعملية التماهي الوظيفي بين العلمين بقوله: " وأول ما نقرّره في هذا المقام هو أن لسانيات سوسير بما قامت عليه من تقديرات مستجدة غريبة الشأن في عصره قد كان لها مولودان أولهما آني تلقائيّ تمثل في بروز الأسلوبية على يدي تلميذه بالي وهي أسلوبية تتحدّد على صاحبها لما فيها من خصوصيات رغب عنها التفكير الأسلوبي بعده ..." (المسدي، 2006، صفحة 35)، تتوسل الأسلوبية بمنطلقات معرفية لسانية لمعالجتها النصوص الأدبية ساعدتها على الذيوع والانتشار من جهة وعلى حثيث سعيها لنيل الاستقلالية العلمية من جهة أخراة .

1. الوقائع الأسلوبية:

لا يمكن كشف الوحدات الأسلوبية وضبطها ضبطا جماليا إلاّ من خلال تموضعها داخل اللغة، وينبغي أيضا أن تتفرّد عن الوحدات اللسانية ويكون لها طابعها الخاص ، حتىّ يتمّ التميز بين الوقائع اللسانية والوقائع الأسلوبية (ريفاتر، 1993، الصفحات 16-17)، فالأسلوبية علم لغوي يعنى بدراسة الأثر الأدبي دراسة موضوعية علمية ، بحيث يهتم بتحليل بنى النصّ، وبتفحّص الرسالة اللّغوية التي يبني عليها النصّ الأدبي من خلال تتبع نسوجه اللغوية انطلاقا من وظيفة الأسلوبية التي تنبري على دراسة الأدب وفق نهج لساني علمي ، والسؤال الذي قد يتبادر إلى الأذهان ما حقيقة التناجز الوظيفي الذي فرض نفسه على اللسانيات والأسلوبية؟.

2. الصلة بين اللسانيات و الأسلوبية تناجز أم اختلاف ؟:

لا يمكن لأحد من الدارسين المتعمّقين في تمحيص المرجعية الأسلوبية اللسانية تجاهل جوهر التمازج الوظيفي بينهما، فقد بات عسيرا التميز بينهما وتحديد نقاط الاختلاف في المعالجات ،حيث تناول michael riffaterre هذه النقطة في محاولة جادة للقبض على خيوط التناجز والاختلاف بينهما من حيث شخّص دور الأسلوبية التي رأى أنها : "... تدرس داخل الملفوظ اللساني، تلك العناصر المستخدمة لفرض طريقة تفكير المسننencodeur على مفكك السنن décodeur بمعنى

أنها تدرس فعل التواصل ، لا كنتاج خالص لسلسة لفظية ، ولكن باعتباره حاملا لبصمات شخصية المتكلم وملزما لانتباه المرسل إليه" (ريفاتر، 1993، صفحة 68)، وتبعا لطرح ريفاتر الأسلوبي فإن علاقة التمايز بين الأسلوبية واللسانيات تتباين من حيث أنّ اللسانيات تدرس الرسالة اللفظية بصفة خالصة لاعتبار فعل الإرسال، أما الأسلوبية فتتعدى هذه الوظيفة إلى دراسة السلسة اللفظية أو المتوالية التعبيرية التواصلية باقتفاء أثر المتكلم في هذه السلسة، أي تعنى بكشف سمات التميّز التي تتضمنها من جهة وتدرس أثر الأثر في المتلقي من ناحية أخرى.

3. مجال الأسلوبية ووظيفتها:

يتحدّد مجال الأسلوبية من خلال الدراسة التي تمارسها داخل إطار الملفوظات اللسانية التي يوظّفها المؤلف ملغّزة مشفّرة ، و القارئ النوعيّ أو النموذجي يكون قمينا بتفكيك رموزها وحلّ أحجيتها، فالأسلوبية تبعا للطرح الريفاتري تدرس فعل التواصل بين المتراسلين وتتكفل برصد عمليات إخفاء المعنى وإظهاره ليس انطلاقا من تتبعها للسلسة الكلامية كملفوظات تعبيرية خالصة، وإنّما من ناحية تتبعها لهذه السلاسل الملفوظاتية ذات الطابع الخاصّ، باعتبارها حاملة لبصمة المؤلف الشخصية، المعبّرة عن وجدانه وعن سمات التمايز في خطابه، فإذا كانت اللسانيات تتعامل مع كلّ الخطابات فإنّ الأسلوبية هي تحليل لخطاب من نوع خاصّ (مولينيه، 1999، صفحة 20)، تشتغل الأسلوبية إذن بتحليل المفردة كجزء من التحليل وتعتبرها وحدة أسلوبية أساسية من منظور Georges mouliné ، من خلال تمييز الأسلوبية بين نواتها الدلالية -أي المفردة- وقيمتها الإيحائية برصد عملها ضمن السياق النصّي ، لذلك اعتمد مولينيه (مولينيه، 1999، صفحة 11) في تحليل المدلول التمييز بين نوعين من الدلالة: دلالة الذاتية / dénotation ، والدلالة الإيحائية/ connotation، فقد أضحت الدلالة الإيحائية هدف الأسلوبية من منظوره التنظيري الأسلوبي بقوله: " فالأسلوبية بكلمة أخرى هي دراسة التراكيب اللغوية الخاصّة بالأدبية والتي تكون محقّقة في خطاب محدد" (مولينيه، 1999، صفحة 22)، ومن هنا تستشف الغاية الوظيفية للأسلوبي التي يتباين عن غاية علم اللسانيات، المتمثلة في سعي الأسلوبية إلى رصد مواطن الأدبيّة في الخطاب الأدبي ، فمنذ أعمال جاكبسون والشكلانين الروس شكّلت الأسلوبية نقطة تلاق بين اللسانيات والنصوص الأدبية، فأصبحت الأسلوبية علما منهجيا يقوم على مبدأ البنيوية مستفيدة من الإطار اللساني ، ومن فهم موليينه لمعنى الوظيفة الشعريّة التي ترتبط بما يتمحور حول المادة الداخلية للنصّ أي في بنيته لا في مرجعيته (مولينيه، 1999، صفحة 18).

إنّ الخطاب الأدبي باعتباره عملا إرساليا لسانيا يكون موجّها إلى قارئ متلق ومؤول بالدرجة الأولى ، فالأدبيّة إذن لها مميزاتها الأساسية المتمثلة في حزم من الوقائع اللّغوية (مولينيه، 1999، صفحة 22)، كما أنّ القيمة الأسلوبية قابلة للتغيير مهما كانت حدّتها الأسلوبية ، فلا يمكن أن تحتفظ بطابعها الأسلوبي مع خطاب آخر بنفس درجة التوتير والتأثير ، وهذا يعني أنّ الواقعة الأسلوبية مشروطة بظروف السياق الذي ترد فيه،" فالقيمة الأسلوبية لأية تركيبة كلامية تخصّ النصّ وتخصّه وحده الذي جاءت فيه والذي تكوّن فيه عنصرا من عناصر هيكليته وبنيته الأسلوبية ، فالقيمة الأسلوبية للعنصر اللغوي الواحد تختلف إذن باختلاف النصوص والعصور والأنواع الأدبية " (مولينيه، 1999، صفحة 22)، فالقيمة الأسلوبية تخضع لمتغيرات لسانية حسب تموقعها في الخطاب على اختلاف طبيعته ونوعه وعصره ، وكذا ظروف تلقيه ، وخاصة أن جورج مولينيه شدّد في معظم كتابته على قراءة النصّ وتأويليه ، وهو ما دعاه إلى القول: إنّ الأسلوبية في نهاية الأمر أسلوبية تلق (مولينيه، 1999، صفحة 68)، فتخريجه هذا فتح آفاقا للأسلوبية مهما كان اتجاهها، فلابد وأنّ يكون سميائيا وليس لسانيا من منظوره ،يومئ هذا التصريح بدعوته إلى استقلالية الأسلوبية عن اللسانيات في ضوابط التحليل والنتائج حيث يقع علم الأسلوبية من منظوره في محور التقاء بين البرغماتية وعلم الجمال في عمل يجمع بين النصّ وتأويليه من قبل القارئ.

تحامت الآراء حول وضع الأسلوبية المتأرجح بين التابع والمتبوع ، ولأنها لم تأخذ أي الأسلوبية بعد شكل العلم المستقل مازالت تدمج في اللسانيات، فقد رأىwilly sandras أن استقلالية الأسلوبية جاءت بناء على دراستها : علم اللغة ، وعلم الأسلوب ، والشعر ممثلة لدى st.ulmann الذي أعلن عن هذا الاستقلال بقوله :" الأسلوبية ليست فرعا من علم اللغة إنّما هي علم مواز ، يعالج القضايا نفسها التي في علم اللغة ولكن من زوايا مختلفة " (ساندرس، 2003، صفحة 51) ولهذا أضحت الأسلوبية تتعامل مع العلوم الأخرى معاملة الندّ للندّ ، وهذا يعني أنّها تحاول تخلّيص نفسها من التبعية التي لازمتها، فهي تطمح إلى الاستقلالية دراسة وإجراء وممارسة حيث يظهر تميّزها واختلافها في احتلالها مركز الوسطية في موقعها المتداخل بين اللسانيات والأدب، فكيف تحافظ الأسلوبية على قاعدتها اللسانية وتحقق لنفسها في ذات الوقت صفة الخصوصية؟، أدرك منظّرو الأسلوبية هذا الانشغال، حين قال ساندرس: "...إنّ تطبيق الأفكار اللسانية ونتائجها ومناهجها على بحث الأسلوب بحاجة إلى تدبّر جديد ونظرة جديدة إلى الأفكار المتداولة فيه.." (ساندرس، 2003، صفحة 2)، وبذلك تكون الوقائع اللغوية في الخطاب ملزمة لجلب انتباه القارئ الذي يقوم بدوره بعملية المتابعة والكشف برفع غطاء التشفير" فإذا كانت عملية الإخبار علة الحدث اللساني أساسا فإنّ غائية الحدث الأدبي تكمن في تجاوز الإبلاغ إلى الإثارة و تأتي الأسلوبية في هذا المقام لتتحدد بدراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية..." (المسدي، 2006، صفحة 33)، تتباين وظيفة التحليل بين اللسانيات التي تدرس فعل التواصل والإخبار وبين وظيفة التحليل الأسلوبي التي تدرس خصائص التواصل من جانب الأثر.

واجهت الأسلوبية اعتياصا في إثبات هويتها المتأرجحة بين المنهج والعلمية والنظريّة (بن قرماز، 2018، صفحة 20)،وقد بتّ في هذه الإشكالية المنظّر الأسلوبي العربي عبد السلام المسدي من حيث نعت الأسلوبية بأنها منهج علمي لساني " في طرق الأسلوب الأدبي، فهي إذن نظرية شمولية فيه من حيث إنها تحدده وتضبط السبل العلمية لتحليله اختباريّا كما أن الذي لا ينازعنا فيه أحد هو أن كل نظرية نقديّة في الأدب تقتضي الاحتكام إلى مقياس الأسلوب باعتباره المظهر الفنّي الذي به قوام الإبداع الأدبي ، وهذا المعطى هو صورة لحتمية حضور الظاهرة اللسانية في الحدث الأدبي" (المسدي، 2006، صفحة 87)،تضطلع الأسلوبية بدراسة الظواهر اللسانية في الخطاب الأدبي بحثا عن مواطن الإبداع فيه باحتكامها إلى معيار الأسلوب ، متخذة العلمية طريقة لوصف الظواهر اللغة بيد أنها علميتها نسبية و ليست بصرامة علمية اللسانيات ، فإن كانت الأسلوبية نظرية شمولية فهذا لأن كلّ المناهج النقديّة تحتكم إلى الأسلوب الذي هو موضوع الدراسة الأسلوبية أساسا.

تقوم علاقة الأسلوبية باللسانيات على فكرة الجسر أو القنطرة التي نافح عنها Leo spitzer ليو سبتزر ، من حيث بيّن حقيقة هذا التجسير بقوله:" la stylistique a mon sens pouvait faire le pont entre la linguistique et l histoire littéraire" (spitzer، 1970، صفحة 54)، مثّلت الأسلوبية جسرا رابطا بين اللسانيات و التاريخ الأدبي ،إذ تقوم الأسلوبية بدور القنطرة في إيصال علم اللغة بالأدب ، وقد فعّل سبتزر فكرة التجسير انطلاقا من قناعته التي تنصّ على أن "أعظم وثيقة كاشفة عن روح شعب من الشعوب هي أدبه ، ونظرا لأن هذا الأدب ليس سوى لغته كما كتبها أكبر كتابه ، فإنه بوسعنا أن نعلق آمالا كبارا على فهم روح الأمة في لغة أعمالها الأدبية الفذّة" (فضل، 1988، صفحة 65)، تقوم الأسلوبية بمكاشفة تاريخ الأدب بناء على دراستها للغة أمة من الأمم انطلاقا من إرثها الأدبي المرتهن بأعرافها وطقوسها وتقاليدها، وقد عزّز عبد السلام المسدي فكرة التناجز الوظيفي بين اللسانيات والأسلوبية برأي لوالاك وفاران اللذين يجزمان فيه بأن الدراسة اللسانية ما أن تكرّس نفسها في خدمة الأدب حتىّ تستحيل إلى أسلوبية (المسدي، 2006، صفحة 45) تصير الدراسة اللسانية إذن بعد دراستها للأدب دراسة أسلوبية، ونعتقد أن هذا الحكم جاء انطلاقا من الوظيفة المنوطة بالأسلوبية التي تتمثل في دراساتها للنماذج اللسانية دراسة أدبية انطلاقا عن البحث عن مشروع الأدبيّة في الخطاب الأدبي المؤسس على تراسلات لسانية ، وقد بادر Michael riffaterre إلى توطين عملية التمايز بين

التحليل اللساني والتحليل الأسلوبي بقوله:"...لا يتضرر إيحاء الكلمة حتّ عندما تبين اللسانيات التاريخية بأن هذا العنصر الغريب عن وضعية اللّغة المؤول كتعبير جديد هو في الحقيقة صيغة قديمة أخطاء بالنسبة للساني، وقائع بالنسبة للأسلوبي" (ريفاتر، 1993، صفحة 45)،محّص ريفاتر الدراسة اللسانية التاريخية التي تعترضها كلمة قديمة المدلول والاستعمال والزمن بأنها تصبح خطأ لسانيا عند اللساني ، أما الأسلوبي فيفسر هذا الانحراف في طبيعة التعبير مخالفة تعبيرية تحت مسمى واقعة أسلوبية، لعدم توقّع القارئ وردوها في سياق آخر غير سياقها المعتاد وخاصة أن مفعولها الأسلوبي يختلف من حقبة إلى حقبة بالتحيين أو الموت و بالفتور أو التأثير، فالتعارض الحاصل بين الدراستين:اللسانية التاريخية والأسلوبية ناتج عن استعمال كلمة ما استُحدث استعمالها بالنظر إلى حقبتها الزمنية القديمة ، يشي هذا الاختلاف بين الإخراج اللساني والإخراج الأسلوبي بعدم اتفاق العلمين على النتيجة والمكاشفة، فمن زاوية رؤية دارس اللسانيات التاريخية فإن ورود المفردة في غير سياقها الزمني كلفظة : **سجنجل** مثلا التي وردت في شعر معلقة امرئ القيس (الشنقيطي، 2007، صفحة 26) حين قال :

مُهفهفة بيضاء غير مُفاضة ** ترائبها مُصقولة كا لسّجنجل**

يشكل خطأ لفظيا بالنسبة لدارس اللسانيات على افتراض أنها وردت هذه الصيغة القديمة موظّفة في شعر محمود درويش مثلا ، لأنها خرقت مجال سياق الزمن الحديث الذي يفرض استعمال صيغ حديثة مجارية له، فهناك ثوابت لغوية في كلّ عصر تفرض التداول والاستعمال ، أما بالنسبة لدارس الأسلوب فإن ورود لفظة: **السّجنجل** - التي كانت تحمل مدلول المرآة حين شبّه الشاعر صدر محبوبته وموضع القلادة منه بياض ونصاعة ووضوح المرآة- في الشعر الحديث لم يكن متوقعا اختيارها، حيث تسبب توظيفها في كسر سياق الزمن المتداول وخالف سياق الملفوظات الأخرى ، فالتعارض بين الصيغ التعبيرية القديمة والصيغ التعبيرية الحديثة يعزّز من بروز المنبه الأسلوبي stimulus stylistique فيغدو إجراء أسلوبيا صادما قويّ على انتباه القارئ ، والتخريج فيه بون واضح بين العملين: عمل اللساني وعمل الأسلوبي.

يقوم الأسلوبي le stylisticien بإعادة بناء أثر اللفظة أو بتحيين تقويتها الأسلوبية من خلال احتضان الأسلوبية لهذا التزامن بين الاستمرار والتغيّر ، ويجب عليها أن تؤلف بين التزامني والزمني (ريفاتر، 1993، صفحة 30)، فتأرجح ورود لفظة : **السّجنجل** بين الخطأ اللساني و المفاجأة الأسلوبية وبين محاولة اللساني في إعادة بناء وضع سالف للغة، وبين محاولة الأسلوبي إعادة بناء الأثر l'effet الذي كان موجودا في نصّ ما في زمن الكتابة (ريفاتر، 1993، صفحة 29)، باختبار مفعولها الأسلوبي بين الحدّة والفتور بمرور الأعصر، لذلك يظهر عمل الأسلوبي في رصد مدى حفاظ اللفظة على استمرارية تأثيرها وفي مدى بقاء التسنين قائما .

إنّ ظهور لفظة في معجم لفظي حديث الزمن هي مجاوزة لتسييق ملفوظاتي زمني مستخدم في سياق توزيعي واحد ، والجمع بين زمنين : زمن غابر وزمن حديث يشكل تضادا بنيويا ومفاجأة أسلوبية، لأن اللفظة الصادمة تستدرج القارئ انطلاقا من منبتها الزمني الذي ترعرعت فيه ، فيغدو توظيفها في غير منبتها منها للقارئ ، كما أن المفاجأة تنبعث من عملية استحسان توظيف اللفظة القديمة في سياق تعبيري حديث فتنتعش الذات القارئة نشاطا بهذا التناقض المخالف لتوقّعها ، فقد لا يستطيع التحليل اللساني أن يميّز بين العناصر غير المعلّمة من تلك المعلّمة " فإن ذلك يعود إلى أن قوتها الكامنة غير متحققة ضمن الإرسالية نفسها بل في المتلقي" (ريفاتر، 1993، صفحة 28)،أضحى القارئ معيارا أسلوبيا كاشفا عن هوية العناصر اللسانية في الدراسة الأسلوبية ، ولميكائيل ريفاتر كبير الفضل في توجيه الدراسة الأسلوبية في اتجاه المتلقي (مولينيه، 1999، صفحة 88) ، بعد أن أشار إليها جاكبسون.

إن عدم الخلط في الإجراء وتطبيق أدوات الممارسة يفصح عن خصوصية تلوح في الأفق بين التحليل اللساني والتحليل الأسلوبي ، ومن هنا جاءت فكرة المعيار لدى ريفاتر التي تكفل بضبط الفرق بين الوقائع اللسانية والوقائع الأسلوبية،

فالأسلوب قد أثبتت الدراسة الحديثة للأسلوبية بأنه"... ليس هو اللغة بل هو ظاهرة ملازمة للغة ..أو أنه القدرة الإضافية الناتجة عن تأثير استعمال اللغة ، لهذا لا يجوز الأخذ بما جاء على لسان الفيلسوف الإيطالي : Benedetto Croce في هذا المجال إلا بمعنى عام حين قال : والقوانين اللغوية الموجودة في نظام لغوي ماهي إلا قوانين لغوية وأسلوبية في آن واحد" (ريفاتر، 1993، صفحة 64)، إذ علينا أن نستوعب في ضوء طرح ساندرس (ريفاتر، 1993، صفحة 65) هذا بأن رأي كروتشيه ينطبق على الجانب القدراتي لطاقة اللغة ، لا على الجانب العملي لاستعمال اللغة، أي أن اللغة تحتكم إلى مستويات عالية الكفاءة لكنها لن تصير أسلوبية إلاّ بتمهّر خاصّ في استعمالها ضمن إطار السياق الخاصّ بها.

4. الخلط المنهجي بين التحليلين اللساني والأسلوبي:

تتفاوت الوظيفتان اللسانية والأسلوبية في تركيب العلامات اللغوية لأن "... الحدث اللساني تركيب لعلامات اللغة في معادلة من الدرجة الأولى بينما يكون الأسلوب تركيبا لها في معادلة من الدرجة الثانية " (المسدي، 2006، الصفحات 60-61)، إن علاقة اللسانيات بالأسلوب تكمن في أن العبارة اللّغوية من المنظور اللساني تمثّل المعنى الأصل أو الواقع وهو الدال على الإخبار والمعنى القريب ، بينما تتضمن العبارة اللغوية نفسها من المنظور الأسلوبي معنى المعنى أو المعنى المضمر الذي يتولّد عن المعنى الأصل والظاهر، ونعتقد أن هذه الفرضية قد جعلت المسدي يطلق حكما على الأسلوب في تصوّره بأنه نظام علامي في صلب نظام علامي آخر، بمعنى أن العلاقة بين اللسانيات والأسلوبية علاقة تضمين واحتواء ، أي تندرج الأسلوبية في دائرة اللسانيات إلاّ أن الحدث اللساني يكون مطلقا ، أما الحدث الأسلوبي فيكون مشروطا بظروف مقامية يتكفل الأسلوب بتحديد الغايات والوظائف لدوافع القول المتحكمة في ظروف سياقاته ومجرياته .

لايزال النصّ الأدبي يخضع للتحليل وفق مستويات لسانية ، تركيبية، نحوية، دلالية إيقاعية ، وصار الباحث ينتهج سبيل هذا التحليل اللساني بتسمية مغالطة : التحليل الأسلوبي ، ولا ينكر أحد من المختصين في مجال الدراسات الأسلوبية أن الأسلوبية فرع من فروع علم اللسانيات، تطورت بتطورها وانتعشت بظهور المنهج البنيوي، إلاّ أن الأسلوبية أضحت علما يتعامل مع العلوم الأخرى معاملة النِدّ للنِدّ (ريفاتر، 1993، صفحة 7)، فلاتزال الأسلوبية إذن تسعى إلى إثبات كينونتها وتحقيق استقلاليتها العلمية بتخليص نفسها من التبعية المزمنة لجلّ العلوم التي حجبت حريّتها ، فهي بالرغم من أنها تستعير أدوات تحليلها من علم اللسانيات وتحتذي علميتها ووصفيتها إلا أنها تبقى تلك العلمية نسبية من حيث تسلك الأسلوبية مسلكا توصيفيا لمظاهر اللغة، معتمدة محاور التحليل اللساني : محور الاستبدالات أو محور الافتراضات، ومحور التراكيب أو التوزيعات وبناء الجمل وإنجازها ، للوصول إلى جوهر جمال اللغة، والأسلوبيّة وإن استعارت أدوات تحليلها من اللسانيات فإنها تنقلها من سمْت الإبلاغ إلى سمْت الإبداع ، وتسمو بها إلى تكشيف عناصر الجمال فتغدو أدوات اللسانيات وسائل أسلوبية بامتياز تتجه نحو تحقيق مبلغ الجمالية والإمتاعية.

خاتمة:

بناء على ما سبق تداوله في موضوع تناجز الأسلوبية واللسانيات تنظيرا وتباينهما تحليلا خلصنا إلى جملة من النتائج:

- تتناجز الأسلوبية مع اللسانيات تنظيريا من حيث المنشأ وعلمية المنهج ووصفيته النسبيتين في التحليل
- يتقاطع العلمان في مادة اللغة التي تختفي وراء الأسلوب باعتباره موضوعا للأسلوبية ومن ثم تكتشف السمات الأسلوبية التي تعتبر اللغة حاملتها..
- تستقي الأسلوبية آلياتها المنهجية من الإطار اللساني التواصلي بغرض الكشف عن الأدبية التي يتمّ تفحصها إلاّ بالوظيفة الشعريّة المؤسسة على مبدأ المساواة بين محوري الاختيار والتركيب .

- إن السبيل لتمييز بين التحليل الأسلوبي والتحليل اللساني يكمن في توظيف معايير سياقية نوعية تكفل بضبط العناصر الأسلوبية التي تتميز عن العناصر اللسانية بتحكيم معيار ومقدار الزيغ ، فالانحرافات الدلالية ليس لها ما يميزها عن المعيار في الدرس اللساني.

قائمة المصادروالمراجع

1- Riffaterre, M. (1971). *essais de stylistique structurale.* (D. D. Flammarion, Trad.) Paris.

2- spitzer, l. (1970). *études de style précède de Léo spitzer et la lecture stylistique.* (j. S. Gallimard, Éd.)

3- الشنقيطي. (2007). *شرح المعلقات العشر* (الإصدار 1). (أحمد أحمد شتيوى، المحرر) القاهرة: دار الغد الجديد.

4- جورج مولينيه. (1999). *الأسلوبية* (الإصدار 1). (بسام بركة، المترجمون) لبنان: المؤسسة الجامعية للدارسات.

5- دوسرسير. (1986). *محاضرات في الألسنية العامة*. (يوسف غازي مجيد النصر، المترجمون) المؤسسة الجزائرية للطباعة.

6- صلاح فضل. (1988). *علم الأسلوب مبادئه وإجراءته*. جدّة: النادي الأدبي الثقافي.

7- طاطة بن قرماز. (2018). أثر الترجمة المتخصصة في ترسيخ جوهر الأسلوبية. *مجلة اللغة الوظيفية، 5*(2).

8- عبد السلام المسدي. (2006). *الأسلوبية والأسلوب* (الإصدار 5). دار الكتاب الجديد المتّحدة.

9- عبد الملك مرتاض. (بلا تاريخ). *الكتابة من موقع العدم*. وهران: دار الغرب.

10- فيلي ساندرس. (2003). *نحو نظرية أسلوبية لسانية* (الإصدار 1). (خالد محمود جمعة، المترجمون) دمشق: المطبعة العلمية.

11- منذر عياشي. (2009). *الأسلوبية وتحليل الخطاب*. دمشق: مركز الإنماء الحضاري.

12- ميكائيل ريفاتر. (1993). *معايير تحليل الأسلوب* (الإصدار 1). (حميد الحمداني، المترجمون) دار النجاح الجديدة.